العناية بالمظاهر التداولية والحرص على بلوغ المقاصد:
بؤرة اهتمام الدرس الدلالي العربي

PRAGMATIC ASPECTS- TEXTUAL SEMIOTICS- SPEECH ACTS- PRAGMATIC LINGUISTICS- CONTEXT OF SITUATION- INTENTIONALITY- INTERLOCUTOR- LINGUISTIC SEMANTICS

مليكة بلقاسمي

جامعة الجزائر2 قسم علوم اللسان

البريد الالكتروني: BELKACEMIKA@GMAIL.COM

تاريخ الإرسال: 2019/11/22 تاريخ القبول:2019/11/27 تاريخ النشر: 2019/12/12

الملخص:

الكثير من الظواهر التداولية حاضرة في الدرس الدلالي العربي القديم، حافلة بها كتب علماء اللغة من نحاة و بلاغيين، متشبعة بها مصنفات علماء الدين وأصول الفقه، وشكلت جزء من منهجهم في التعامل مع دلالات النص القرآني و في فهم مقاصده، وهذا النص فيه إجمال للعناصر التداولية التي تشكل عالم النص. والجهود التي بذلها علماء العربية اتخذت أشكالا ثلاثة بارزة: جهود تناولت الظواهر ذات الصلة بأفعال الكلام، وجهود تناولت الظواهر التي تعود إلى علاقة اللغة بوظيفتها التواصلية، وجهود تناولت الظواهر المفتوحة أمام تعدد الاحتمالات الدلالية. ولقد اهتم علماء العربية بالبنيات الثلاث التركيبية والدلالية والتداولية تماما مثل علم الدلالة اللغوي جون لاينز (J.LYONS) الذي عالج الدلالة اللغوية متدرجا من الدلالة النبرية لأصوات اللغة وارتقى إلى أن وصل إلى الملفوظات في سياقها التداولي؛ فقدروا هذا التفاعل بين بنية "المقال" ومقتضيات "المقام" واقترحوا أوصافا لكل من ظاهرة "التخصيص" وظاهرة "العناية" وظاهرة "التوكيد"، كما اعتبروا الوظائف التداولية هي التي تحدد بنية الجملة, و الملفوظ.

الكلمات المفتاحية:

الظواهر التداولية- - السميوطيقا النصية- أفعال الكلام- اللسانيات التداولية- مقتضى الحال- سياق المقام- الموضع- المخاطَب- الغرض- القصدية- الفائدة- اللسانيات التداولية- علم الدلالة اللغوي

مقدمة:

الفكر اللغوي المعرفي لعلماء العربية القدامى اهتدى إلى وضع الحجر الأساس "لدرس دلالي عربي أصيل"، والجهود النحوية والبلاغية وغيرها لم تُقصد لذاتها؛ إذ مجموع الدراسات كانت غايتها المنشودة خدمة النص القرآني الذي ما كان يوما حاجزا معرفيا، بل على العكس من ذلك؛ النص القرآني جعل هؤلاء العلماء يتجاوزون وصف الجملة ومختلف مستوياتها، والارتقاء إلى وصف الخطاب والنص. ومن ثمة يمكن إدراج هذه الجهود ضمن ما يعرف اليوم بـ "السميوطيقا النصية" **(SEMIOTIQUE TEXTUELLE)**. وهذه الجهود العلمية الجادة تعكسها مصنفاتهم التي تأتلف فيها النظرة الكلية للغة والنظرة الجزئية في الآن ذاته، وتكشفت أن الدرس الدلالي العربي القديم ينفرد بخاصية الموسوعية، والشمولية، وعدم الاكتفاء بالتحليل الجزئي لعناصر اللغة، ويتسم بالبعد الابستمولوجي، ويتجلى في خطابات تتنوع فيها المشارب العلمية لأصحابها،التي تتجلى في خطاب النحاة وفي خطاب البلاغيين وفي خطاب علماء الأصول والمتكلمين، وفي خطاب الفلاسفة و المناطقة.

فإذا كانت دلالة الملفوظات اللغوية تتحدد بالنظر إلى العناصر التداولية التي تحيل من جهة على العناصر المشاركة في عملية التخاطب ويقتضيها مقام التواصل و المتعلقة بالسياق (CONTEXT LINGUISTIQUE)

اللغوي وغير اللغوي (CONTEXT EXTRA- LINGUISTIQUE) الذي يحيط بالخطاب، و التي تحيط من جهة ثانية بمجموع المعارف ذات الطابع الأنثرو-سوسيولوجي، إلى جانب السياق شبه اللغوي (PARA-TEXT) الذي يضم الحركات، الإيماء، التنغيم، النبر...إلخ فهل كان لعلماء العربية المام كاف بهذه العناصر التداولية في بحوثهم اللغوية؟ و هل حوتها مصنفاتهم العلمية؟

1. العناية بالعناصر التداولية قوام منهج علماء اللغة العرب القدامى:

إن الكثير من الظواهر التداولية نجدها حاضرة في المباحث الدلالية، حافلة بها كتب علماء اللغة من نحاة و بلاغيين، تشبعت بها مصنفات المفسرين و الفلاسفة وعلماء الكلام، وشكلت جزء غير يسير من منهجهم في التعامل مع دلالات النص القرآني و فهم مقاصده، وهي كثيرة ومتنوعة من حيث الطبيعة بحيث لا يمكن الإحاطة بها، و يستحيل حصرها، و في ذلك يقول الإمام السيوطي مقررا " وأما القرائن المعنوية فلا تنحصر."[1] أما عن قيمة هذه الظواهر التداولية فيذهب إلى أنها تعين على " معرفة مقاصد الكلام إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال، حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أوالمخاطب أو المخاطب أوالجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك "[2] والنص القرآني فيه إجمال للعناصر التداولية التي تشكل عالم النص. والجهود التي بذلها علماء العربية اتخذت أشكالا ثلاثة هي كالآتي:

- 1- جهود تناولت الظواهر ذات الصلة **بأفعال الكلام**.
- 2- جهود تناولت الظواهر التي تعود إلى **علاقة اللغة بوظيفتها التواصلية**
- 3- جهود تناولت الظواهر المتعلقة بالالتباس، أي المفتوحة أمام **تعدد الاحتمالات الدلالية**.[3]

فلقد اهتم علماء العربية **بالبنيات الثلاث التركيبية والدلالية والتداولية** تماما مثل علم الدلالة اللغوي للاينز الذي عالج الدلالة اللغوية متدرجا من الدلالة النبرية لأصوات اللغة فالدلالة المعجمية و السياقية لمفرداتها فتراكيبها أي جمل النظام وارتقى إلى أن وصل إلى الملفوظات في سياقها التداولي؛ فقدروا هذا التفاعل بين بنية "المقال" ومقتضيات "المقام" واقترحوا أوصافا لكل من ظاهرة "التخصيص" وظاهرة "العناية" وظاهرة "التوكيد" وظاهرة "الحصر"، اعتبروا أن الوظائف التداولية هي التي تحدد بنية الجملة، ففي قولنا:

قمحًا زرعتُ (لا أرزاً)

يحتل المكون "قمحًا" الموقع الصدر أي بداية الجملة، لأنه حامل لوظيفة تداولية محددة هي "وظيفة التخصيص"، كما عللوا هذه الخصائص وغيرها بالنظر إلى أنماط المقامات التي تنجز فيها.

2. المصطلحات الدالة على العناصر التداولية:

هذه المعطيات التداولية التي تحيل على العناصر المشاركة في عملية التخاطب ويقتضيها مقام التواصل تتعلق بالمحيط اللغوي وغير اللغوي الذي يشكل عالم الخطاب، إلى جانب المعرفة اللغوية للكلمة أو الملفوظ، أضف إلى ذلك مجموع المعارف ذات الطابع الأنثرو-سوسيولوجي التي يوجد فيها النص، كالشروط التي ينتج فيها الملفوظ وتشكّل جزءا مكملا لثقافة المتكلمين، فهو يشمل كلا من السياق اللغوي وغير اللغوي

والسياق الثقافي، إلى جانب السياق شبه اللغوي الذي يضم الحركات، الإيماء، التنغيم، النبر...إلخ. فدلالة الملفوظ تتحدد بالنظر إلى العناصر التداولية من بينها السامع المخاطَب وحال الخطاب الوضعية الخطابية ملامح الوجه، وتتغير بتغيرها معطياته التي يضاف إليها المستوى الاجتماعي و التعليمي لكل من السامع المخاطَب، "طبيعة العلاقة بينهما، أدوارهما، عددهم (أهما اثنان أم أكثر)، وظيفة فعل الكلام (أهو إثبات، طلب، نفي، استفهام)، طبيعة وسيلة التواصل (كلام، كتابة، كلام مرفق بإيماءات)، موضوع الخطاب، الوضعية الحالية (أضجيج هناك أم هدوء؟ أهناك جمهور أم شخص؟ هل الوضعية عائلية كقاعة الجلوس أم غير عائلية كالمسجد أوالكنيسة ؟) إلى جانب الحالة النفسية لكل من المرسلين والمتلقين.

❖ **1.2 مصطلح السامع أو المخاطَب:**

مصطلح السامع كثير الورود في مصنفات النحويين وكذا البلاغيين والفقهاء، ففي دلائل الإعجاز للجرجاني مثلا كثيرة هي المواضع التي ورد فيها هدا المصطلح فعلى سبيل المثال قوله"... ألا ترى أنك لا تقول: ما أتاني إلا رجل: إلا حيث يتوهم **السامع** أنه قد أتتك امرأة...

... فإذا بدأت بالنكرة فقلت: رجل، وأنت لا تقصد بها الجنس وأن تُعلِم **السامع** أن الذي أردت بالحديث رجل لا امرأة كان محالا أن تقول: إني قدمته لأنبّه المخاطب له: لأنه يخرج بك إلى أن تقول: إني أردت أن أنبه **السامع** لشيء لا يعلمه في جملة ولا تفصيل."[4] وفي حديثه عن النظم في علاقته بالمتلقي يقول الجرجاني"... وذاك أن من حذق الشاعر أن يوقع المعنى في نفس **السامع**... لجاز أن يقع في وهم **السامع**... ليبرئ **السامع**..."[5] كما تستعمل لفظة السامع والمخاطَب في صيغة الجمع كقوله "... وذلك أن من شأن المادح أن يمنع **السامعين** من الشك."[6]

وقد يستعمل علماء اللغة العرب القدامى ألفاظا أخرى للتعبير عن المتلقي، لعل أكثره أكثر هده الألفاظ تداولا كلمة "المخاطَب" التي يكثر تداولها في الكتاب لسيبويه **يقول:** " وإنما أضمرت الفعل ها هنا وأنت **تخاطب** لأن **المخاطب** المخبر لست تجعل له فعلا آخر يعمل في المخبر عنه."[7] "... وربما تركها استغناءً بعلم **المخاطب**، وقد تذكرها توكيدا وإن عُلِم من تَعني."[8] " وإنما حسُن الإخبار ههنا... لأن **المخاطب** قد يحتاج إلى أن تُعْلِمه مثل هذا"[9] " مما يُقّوى تركَ نحوِ هذا لعلم **المخاطَبِ**... "[10] كما ترد اللفظة ذاتها في مواضع عديدة في الخصائص لابن جني من بينها قوله: " وإنما حسُن الإخبار ههنا... لأن **المخاطب** قد يحتاج إلى أن تُعْلِمه مثل هذا."[11]

2.2 مصطلح مقتضى الحال الذي يقابل مصطلح سياق المقام عند المدرسة اللسانية ٱلإنجليزية:

إن اعتناء علماء العربية بالسياق الذي جاء مفهومه موازيا لمفهوم **سياق المقام (CONTEXT OF SITUQTION)** الذي تعتمده المدرسة اللسانية الانجليزية عناية ظاهرة وحسن اعتبارهم للمقام التواصلي الذي أنزلوه المنزلة الرفيعة في فهم النص القرآني، وفي مزاوجتهم بين التناول الصوري وبين التناول التداولي في وصف الجملة العربية؛ باعتبارها خطابا يؤول بالنظر إلى الوظيفة التي يحققها في ظروف بعينها.

لقد كان لأئمة النحو الرواد في استنباط قواعد اللغة العربية كسيبويه والخليل والكسائي والفراء وأمثالهم سبق ملحوظ إلى إدراك أثر السياق في أحوال الإعراب تبعا للتغير اللفظي الذي يدخل في بناء الجمل بحسب

المعاني، و ما يساق الكلام له من: إثبات، أو نفي، أو نهي، أو استفهام، أو شرط، أو تعجب، أو غير ذلك مما له دلالة معتبرة في السياق، و سواء تعلق الأمر بالنوع الأول أم الثاني، فإن لكليهما أثرا قي تحديد المعنى."[12] و السياق نوعان:

- ✓ - **سياق داخلي:** مرتبط بالمرجعية الكاشفة لدلالة النص.
- ✓ - **سياق خارجي:** مرتبط بالمرجعية المحيطة بالنص.

ومن ثم جاء تمثل أئمة النحاة العرب الرواد للسياق تمثلا مزدوجا:

- ✓ - **تمثل نظري:** يتعلق بالتقعيد والتنظير من خلال ضبط التعريفات ووضع الحدود،...إلخ
- ✓ - **تمثل وظيفي:** ويتم بلوغه بالاعتماد على السياق قي تفسير أحكام النصوص الشرعية..

❖ **1.2.2 تحديد مصطلح السياق عند علماء العربية:**

السياق في اللغة مصدر ساق، وجاء في معجم مقاييس اللغة قول ابن فارس في مادة (سوق): " السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشيء. يقال ساقه يَسوقه سَوْقا. والسَّيِّقة: ما استيق من الدواب. ويقال: سقتُ إلى امرأتي صداقها، و أسَقْتُه. و السُّوق مشتقة من هذا، لما يُساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، وإنما سميّت بذلك لأن الماشي يَنساق عليها. ويقال امرأة سَوقاء، ورجُلٌ أسَوق، إذا كان عظيم الساّق. والمصدر السَّوَقُ، قال رؤبة:

قُبٌّ من التِّعداء حُقْبٌ في سَوَق

وسُوق الحرب: حَومة القتال."[13] و أسواق هي الأماكن التي يجلب إليها الأمتعة فكأنها تبدأ رحلة طويلة من موضع الإنتاج إلى موقع البيع، والانتهاء على أيدي مستهلكين، و"التفاف الساق بالساق" دليل على نهاية الحياة. فحين يستعار اللفظ للاستعمال في المعاني، فذالك لما فيه من معنى "الكشف وبلوغ الغاية " فكأن "السياق" والحالة هذه يكشف عن المعاني، ويفصح عن مدلولات الألفاظ، ويبلغ من معانيها النهاية والغاية فلا تستطيع أن تخفي من معانيها أو مدلولاتها شيئا وفيه –أيضا– إشارة إلى أن الألفاظ كائنات حية لها مبتدأ ولها منتهى، ولها طرق تسلكها من مبتدئها إلى نهايتها، فهي مسوقة إلى تلك النهاية، وجارية عليها، لتبلغ نهاية مدلولاتها ومعانيها

ومادة سوق في لسان العرب لابن منظور من السَّوق[14]، ومنها سَاقَ الابلَ وغيرها يَسُوقها سَوْقًا و سِياقًا، وهو سائقٌ وسَوَّاق، شدَّد للمبالغة؛ ويقال لأَبي زغْبة الخارجي: قد لَفَّها الليلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ. وقوله تعالى: " وجاءت كلُّ نَفْسٍ معها سائقٌ وشَهِيد"؛ قيل في التفسير: سائقٌ يَسُوقها إلى محشرها، وشَهِيد يشهد عليها بعملها، وقيل: الشهيد هو عملها بنفسه، وأَسَاقَها واسْتاقَها فانْساقت، وأَنشد ثعلب:

لولا قُرَيشٌ هَلَكَتْ مَعَدُّ واستاق مالَ الأَضْعَفِ الأشدُّ

و سوَّقَها: كساقَها؛ قال امرؤ القيس:

لنا غَنَمٌ نُسَوِّقُها غِزارٌ كأنَّ قُرونَ جِلَّتِها العِصِيُّ [15]

وفي الحديث: لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قَحْطان يَسُوقُ الناس بعَصاه؛ هو كناية عن استِقامة الناس وانقِيادهم إليه، وفي الحديث: وسَوَّاقٌ يَسُوقُ بهن أَي حادٍ يَحْدُوا الإِبلَ فهو يسوقُهن بحُدائه وسَوَاقُ الإِبل يَقْدُمُها؛ ومنه: رُوَيْدَكَ سَوْقَك بالقَوارير، وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، وساق إليها الصداق المهر سياقا وأساقه، وإن كان دراهم أودنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدراهم والدنانير وغيرهما، وساق فلان من امرأته التي أعطاها مهرها، والسياق المهر، وساقَةُ الجيش: مؤخَّرُه في صفة مشيه، عليه السلام: كان يسوق أصحابه أي يقدمهم ويمشي خلفهم تواضعا ولا يدع أحدا يمشي خلفه، وساق بنفسه سياقا، نزع بها عند الموت، تقول أرأيت فلانا يسُوق سوُوقا أي ينزع نزعا عند الموت، والسياق: نزع الروح، وفي الحديث: دخل سعيد على عثمان في السوق أي النزع كأن روحه تساق لتخرج من بدنه، ولأن الإنسان يساق به إلى الدار الأخرى حسن أن يطلق عليه السياق كقوله:

و لما دنَا منيّ السياق تقدَّمتت إليَّ و دوني من تقدمها شغل

أتت و حياض الموت بيني وبينها وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

والسوق: موضع البياعات، والجمع أسواق، وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا، لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها، وسوق القتال والحرب وسوقته، وامرأة سوقاء: تارة الساقين ذات شعر، والأسوق: طويل عظم الساق، وفي حديث القيامة: يكشف عن ساقه؛ والساق في اللغة الأمر الشديد، وكشفه مثل في شدة الأمر كما يقال للشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل، وإنما هو مثل في شدة البخل، وكذلك هذا: لا ساق هناك ولا كشف؛ وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد يقال: شمر ساعده، وكشف عن ساقه للاهتمام بذلك الأمر العظيم."[16]

❖ 2.2.2 المصطلحات الدالة على السياق عند العرب:

مفهوم السياق عند العرب هذا المصطلح لم يرد عند العلماء العرب بهذا اللفظ وإنما ورد في سياقات أخرى تفيد محتواه ومغزاه، ونلاحظ في بعض المؤلفات أن لفظة **"السياق"** تختفي ويبقى معناها حاضرا بألفاظ أخرى مثل **"الموضع"** و **"المواضع"** و**"سوق الكلام"** و**"نظم الكلام"** و**"مقتضى الحال"** و"**التأليف**" و **"المساق"** و"**الاتساق**" وكلها بمعنى السياق، لاحظنا هذا في القاموس وفي لسان العرب ونحوه مع إسهاب في ذكر الشواهد، و في أساس البلاغة نجد قريبا من مرادنا بـ "السياق" قولهم: " فلان **يسوق الحديث** أحسن سياق "، وإليك "**يساق الحديث**"، لكنه لم يبعد كثيرا عن الاستعمالات المذكورة، و كذلك كتاب العين وما إليها.

من خلال تتبع مختلف التعريفات اللغوية و الاصطلاحية التي توردها أمهات المعاجم اللغوية، نلاحظ أن استعمال مفهوم السياق عند العرب يتميز بأنه يطلق في الغالب الأعم على أمور حسية مادية أكثر منها تجريدية كسياق المرأة أي مهرها، سَاقَ الإبل والماشية، وساقُ الشجر وساقُ الإنسان وساقُ الطائر وساق إليه دراهم، ورجُلٌ أسَوق أي عظيم السآق، والسُّوق موضع البياعات. كما يتميز مصطلح السياق عندهم بأنه يُتداول في أمور معنوية مجردة، فهو مثلا يدل على السَوْق إلى غاية أو نهاية، فالسياق هنا للاحتضار والموت،

وساق بنفسه سياقا، نزع بها عند الموت، وساقَ الحديث، سرده وتابعه و جاراه، و سياق الكلام تتابعه و أسلوبه الذي يجري عليه.

فاستعمالات كلمة **الحال** و**الموضع** على سبيل التمثيل في متون المصنفات العلمية يعسر حصرها، " وكذا إذا قال: رأيت أسدا وذلك **الحال** على أنه لم يرد السبع، علمت أنه **أراد** التشبيه."[17]، " من ذلك قولُ العرب في مَثَلٍ من أمثالهم: " اللَّهُمَّ ضَبُعًا و ذِئْبًا" إذا كان يدعو بذلك على غنمِ رجُل. وإذا سألتَهم ما يعنون قالوا: اللهمَّ اجمَعْ فيها ضَبُعًا وذئبا. .. وإنَّما سَهُلَ تفسيرهُ عندهم لأنَّ المضمَر قد أستُعمل في هذا **الموضِع** عندهم بإظهار."[18] كما نلاحظ أن مصطلح الحال كثيرا ما يذكره علماء النحو عند حديثهم عن الحذف أوعند حديثهم عن مسألة التقديم والتأخير، فهم يجوزون الحذف إذا دل عليه حال الخطاب عنها، يقول ابن جني: من دلك أن ترى رجلا قد سدد سهما نحو الغرض... فتسمع صوتا فتقول: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس. فـ(أصاب) الآن في حكم الملفوظ به البتة، وإن لم يوجد اللفظ، غير أن دلالة الحال نابت مناب اللفظ به [19] ويقول أيضا " وقد حُذفت الصفة ودلّت **الحال** عليها... قولهم: سِيرَ عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكأن هذا إنما حُذفت فيه الصفة لما دلّ من **الحال** على موضعها."[20] "... وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنوا لكثرتها في كلامهم، واستغناء بما يرون من **الحال**، وبما جرى من الذكر." [21]

❖ **3.2.2 المصطلحات الدالة على الوضعية الخطابية وملامح الوجه:**

أما فيما يتعلق بالمصطلحات الدالة على الوضعية الخطابية وعلى ملامح الوجه، فلقد وردت ألفاظ كثيرة تدل عليها، و تعابير مختلفة بالنظر إلى تعدد العناصر المشاركة في عملية التخاطب، من ذلك قول سيبويه شارحا قول الراجز:

أطَرِباً و أنتَ قِنْسَرِيُ

"... إنما أراد: أتطرب، أي أنت في **حال طرب**؟ ولم يرد أن يخبر **عما مضى** ولا **عما يستقبل**."[22] ومن ذلك أيضا قول العرب حين تقصد الإخبار دون الاستفهام فتقول:

- سيْراً سَيْرًا

"... وذلك أنك **رأيت رجلا في حال سير** أو كنت **في حال سير**، أو ذكر **رجل بسير** أو ذكرت **أنت بسير**، وجرى كلام يحسن بناء هذا عليه كما حسن في الاستفهام. لأنك إنما تقول: أطربا وأسيرا، إذا **رأيت** ذلك في **الحال** أو **ظننته** فيه. وعلى هذا يجرى هذا الباب إذا كان خبرا أواستفهاما، إذا **رأيت رجلا في حال سير** أو **ظننته** فيه، فأثبت ذلك له."[23] و قولهم أيضا " ومنه أن **ترى الرجل** أو **تُخبر عنه** أنه قد **أتى أمرا** فتقول: أَكُلُ هذا، أي أتفعل كل هذا بخلا."[24] " وأما ما ينتصب في الاستفهام من هذا الباب فقولك: **أقياما** يا فلان والناس **قعود**، و أجلوسا والناس **يَعْدون**، لا يريد أن يخبر **أنه يجلس** ولا أنه **قد جلس** وانقضى جلوسه، ولكنه يخبر أنه في تلك الحال **في جلوس** و **في قيام**."[25]

أما التفخيم في اللغة العربية فيزيد في دلالة أساليبها "ذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من **التفخيم** و **التعظيم** ما يقوم مقام قوله: طويل أونحو ذلك.وذلك أن **تكون في مدح إنسان** والثناء عليه، فتقول:

- كان و الله رجلاً!

فتزيد في قوة اللفظ ب(الله)، وتتمكّن في **تمطيط اللام وإطالة الصوت** بها(وعليها) أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك. أما دلالة ملامح الوجه و الإيماء " وكذلك إن **ذممته** و **وصفته بالضيق** قلت:

- سألناه و كان إنسانا !

و **تَزْوِي وجهك و تقطّبه**، فيغني ذلك عن قولك:

-إنسانا لئيما أو لَجِزًا أو مبَّخلا أو نحو ذلك."[26]

3. مفهوما الأغراض والأساليب يقابلان مفهوم أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة:

تناول علماء العربية القدامى في بحوثهم اللغوية مفهوم "الأغراض" ومفهوم "الأساليب"، ويطلقونهما على مجموع الظواهر الدلالية والتداولية التي يعالجونها في مصنفاتهم اللغوية، وهذين النوعين من أنواع الدلالة اللغوية، أي دلالة الأساليب ودلالة الأغراض الناتجتين عن مقام الخطاب تلتقيان والاصطلاحات الجديدة لنظرية أفعال الكلام لأوستن، بحيث تتقابلان ومصطلح "الفعل المباشر" (DIRECT SPEECH ACTS) و"الفعل غير المباشر" (INDIRECT SPEECH ACTS). والحديث عن أوستن هو حديث عن مفاهيم علم الدلالة اللغوي وعن اللسانيات الإنجليزية ككل، لأن لاينز كان من المتأثرين به و تبنى هذه المفاهيم. إن التفكير اللغوي القديم احتوى التصنيف ذاته لأفعال الكلام كما يلي:[27]

- أ) **أفعال الكلام المباشرة**: يطلق عليها علماء العربية مصطلح **"الأساليب"**
- ب) **أفعال الكلام غير المباشرة**: يطلقون عليها مصطلح **"الأغراض"**

كما لم تقتصر دراسة القدامى لهذه الأفعال اللغوية على جمهور النحويين واللغويين فحسب بل تناولتها معارف وعلوم أخرى من بينها علم الأصول الذي كان أصحابه يهتمون بفعلي الأمر والنهي أكثر، كما اهتمت أعمال المفكرين العرب القدامى بالعلاقة الرابطة بين البنية النحوية للملفوظات والوظيفة التداولية لهذه البنية، وتفاوتوا فيما بينهم من حيث درجة هذا الاهتمام والعناية في تحليلهم النحوي بالظواهر التداولية (كسياق التلفظ، والعلاقات بين المشاركين، وأحوال الخطاب،...). وهناك أربعة مصنفات نحوية ضخمة هي من أمهات المصادر في علم النحو وهي: "الكتاب" لسيبويه، كتاب "المفصل" للزمخشري، كتاب "الألفية" لابن مالك، كتاب "المغني" لابن هشام، اعتنى مؤلفوها بالظواهر التداولية، و أولوها مكانة مركزية في رصد دلالات أبنية اللغة وملفوظاتها، و الكشف عن مقاصد مستعمليها، وأغراضهم التبليغية، وقد صنفت هذه المؤلفات النحوية التراثية إلى صنفين اثنين:[28]

- **<u>أولا</u>**: صنف من الكتب تشتمل على تحليل نحوي يؤدي فيه البعد التداولي دورا محدودا، ونقصد كلا من الزمخشري في مفصله، وابن مالك في ألفيته.
- **<u>ثانيا</u>**: صنف من الكتب تشتمل على تحليل نحوي يحيل على كثير من الظواهر التداولية؛ فهي تحيل على المتكلم وعلى العلاقات بين المتكلم والمستمع، ومختلف ملابسات حال الخطاب،... ويقصد كلا من سيبويه في كتابه، وابن هشام في مغنيه.

إنها مصنفات نحوية تولي الأهمية للجانب التداولي، غير أنها تتفاوت من حيث العناية به، فإذا كان سيبويه لا يتجاوز عادة وصف عناصر سياق الحال، فإن ابن هشام يستخدم مصطلحات محددة للدلالة على هذه

العناصر التداولية، مستعيرا إياها من علم البلاغة وعلم الأصول وهي أكثر علوم العربية والقرآن تناولا للوظيفة التداولية، ومن ثمة فالنظرية الدلالية العربية تحصر الدلالات اللغوية في أصناف ثلاثة هي:

- ❖ الدلالة التي تشكل المحتوى الجملي للملفوظ
- ❖ الدلالة المستقاة من الأساليب اللغوية للملفوظ ذاته مثل "الاستفهام" و"التعجب" و"الأمر"،...
- ❖ الدلالة التي ينتجها الحال أو مقام الخطاب.[3]

ولفظ الدلالة عند علماء العربية مشتق من الفعل "دل" ويعرفه ابن فارس في معجم مقاييس اللغة بقوله:" الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشَيء بأمارةٍ تتعلّمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء. فالأول قولهم: دَلَلْتُ فلانًا على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء، وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة. والأصل الآخر قولهم: تَدَلْدَلَ الشيء، إذا اضطرب، قال أوس:

أمْ مَن لَحيٍ أضاعوا بعضَ أمرِهِمَ بَيْنَ القُسوط و بين الدِّينِ دَلْدَالِ *

ومن الباب دَلال المرأة وهو جُرْأَتُهَا في تَغنُّجٍ و شِكْلٍ، كأنّها مخالِفَةٌ و ليس بها خِلافٌ. وذلك لا يكون إلا بتَمايُلٍ واضطرابٍ، ومن هذه الكلمة: فلانٌ يُدلُّ على أقرانِه في الحرب، كالبازي يُدِل على صَيْدِه. ومن الباب الأول قول الفرّاء عن العرب: أَدَلَّ، يُدِلُّ، إذا ضَرَبَ بقَرابة."[29] أما الدَلالة بالفتح، هي على ما اصطلح عليه أهل العربية " أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، هكذا ذكر الجلبي في حاشية الخيالي، في بحث خبر الرسول. والشيء الأول يسمى دالا، والشيء الآخر يسمى مدلولا. والمراد بالشيئين: ما يعم اللفظ وغيره، فتتصور أربع صور: الأولى: كون كل من الدال والمدلول لفظا، كأسماء الأفعال الموضوعة لألفاظ الأفعال على الرأي. والثانية: كون الدال لفظا، والمدلول غير لفظ، كزيد الدال على الشخص الإنساني. والثالثة، عكس الثانية، كالخطوط الدالة على الألفاظ. والرابعة: كون كل منهما غير لفظ كالعقود الدالة على الأعداد. والمراد بالعلمين الإدراك المطلق الشامل للتصور والتصديق اليقيني وغيره، فتتصور أربع صور أخرى: الأولى أن يلزم من تصور الدال تصور المداول. الثانية أن يلزم من التصديق به التصديق بالمدلول. الثالثة أن يلزم من تصوره التصديق بالمدلول. الرابعة عكس الثالثة.

والمراد بالشيء الآخر ما يغاير الشيء الأول بالذات، كما في الأمثلة السابقة أو بالاعتبار، كما في النار والدخان، فإن كلا منهما دال على الآخر و المدلول له، واللزوم إن أريد به اللزوم يصير هذا التعريف تعريفا على مذهب العربية والأصول، فإنهم يكتفون باللزوم في، ولا يعتبرون اللزوم الكلي. فيرجع محصل التعريف عندهم إلى أن الدلالة كون الشيء يلزم، أي يحصل من العلم به العلم بشيء و لو في وقت."[30] " والدلالة الوضعية دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة الوضع ينتقل لأجلها منه إليه والحاصل أنها دلالة يكون للوضع مدخل فيها على ما ذكروا، فتكون دلالة التضمن والالتزام وضعية. وكذا دلالة المركب ضرورة أن لأوضاع مفرداته دخلا في دلالته. ودلالة اللفظ على المعنى المجازي داخلة في الوضعية، لأنها مطابقة عند أهل العربية، لأن اللفظ مع القرينة موضوع للمعنى المجازي بالوضع النوعي كما صرحوا به."[31] بقي أن الدلالة ليست كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى عند الإطلاق، بل كونه بحيث يفهم منه المعنى العالم بالوضع عند حضور اللفظ عنده، سواء كان بسماعه أو بمشاهدة الخط الدال عليه أن يتذكره فالصحيح الأخصر أن يقال: هي

فهم العالم بالوضع المعنى من اللفظ."[32] و يصنف ابن جني في خصائصه دلالة اللفظ بالوضع، أي الدلالة الوضعية أو اللغوية، إلى:

- ✓ **"الدلالة اللفظية"**
- ✓ **"الدلالة الصناعية"**
- ✓ **"الدلالة المعنوية"**

إلا أن هذه الأنواع الثلاثة لا تستوي من حيث منزلتها في الاستعمالات العرب، فهي ليست واحدة وتختلف من حيث القوة و الضعف، يقول "اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل مُعتّد مُراعى مُؤثَر؛ إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية،... فمنه جميع الأفعال ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة. ألا ترى إلى قام، و(دلالة لفظه على مصدره) ودلالة بنائه على زمانه، و دلالة معناه على فاعله. فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه."[33]

4. الحرص على بلوغ المقاصد

1.4 مفهوم القصد أو الغرض :

النظرية الدلالية العربية ترتكز على مفهوم "القصدية" الذي كان لاينز يعيب على اللسانيات الحديثة إهمالها إياه، فمفهوم القصد أو الغرض يحتل مكانة محورية عند علماء النحو والبلاغة على رأسهم عبد القاهر الجرجاني. ثم إن مفهوم لاينز **"للنحوية" (GRAMMATICALITY) والمقبولية (ACCEPTABILITY)**، و"عدم **السلامة الدلالية" (SEMANTIC ILL-FOFMDNESS)** تتجلى ملامحها في مصطلحات سيبويه النحوية الدلالية كمفهوم "الاستقامة" و"الاستحسان" و"الاستحالة" وفي كيفية تفريقه بين الكلام المستقيم والكلام المحال، أضف إلى ذلك أن مفهوم الكلام في الدرس الدلالي العربي القديم مفهوم تداولي، فهو يقترن بالفائدة، إذ الكلام عند ابن جني وابن هشام هو: كل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه، وأفاد بالقصد، أي دلّ على معنى يحسن السكوت عليه، كما وصف علماء النحو القدامى مختلف استعمالات اللغة، إلى جانب وصف آليات مطابقتها لمقتضى الحال، ومقتضى الحال –أي سياق المقام حسب اصطلاحات لاينز والمدرسة اللغوية الإنجليزية- هو الذي يتحكم في النهاية في خرق قوانين الاستعمال لمنطق التخاطب، و"قوانين الاستعمال" هي مجموعة من الآليات اللغوية التي تسمح بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتقوي ملكة التواصل للمتكلم، فيصبح قادرا من جهة، على التحكم في قوانين اللغة المعيارية و قادرا من جهة أخرى، على استعمال اللغة استعمالا مزدوجا من حيث هي وضع ومن حيث هي تأدية في مقام تواصلي حي، وهذه الآليات اللغوية كثيرة في كلام العرب من بينها: الحذف، الإطناب، الإضمار، الإظهار، التقديم، التأخير، ترخيم الصوت أو ترقيقه، القلب، الإبدال. و الدلالة في النهاية تتجاوز الصوت المفرد والكلمة المستقلة إلى دلالة الكلم المركب، الذي يحتاج إلى نظم يؤلف بين ألفاظه؛ ليؤدي وظيفة تحقيق المقاصد، و بلوغ الغايات.

فإذا كانت اللسانيات التداولية تعيب على علماء اللسان المحدثين إهمالهم لكل ما يتصل بالقصد، فإن النظرية الدلالية العربية ترتكز على **"القصدية"** الذي يطلق عليها مصطلح **(INTENTIONALITY)**. فأصل نشأة العلوم العربية هو القرآن الكريم بمقاصده وأهدافه ومناحيه، وعلى هذا الأساس انصبت الدراسات

العربية على الأغراض المتوخاة من الدلالات المنشودة "؛ وبالجملة فأهل العربية يشترطون القصد في الدلالة فما يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولا للفظ عندهم، فإن الدلالة عندهم فهم المراد، لا فهم للمعنى مطلقا بخلاف المنطقيين، فإنها عندهم فهم المعنى مطلقا سواء أراده المتكلم أم لا."[34] في قراءتنا للآيات القرآنية الموالية على سبيل المثال لا الحصر:

- _ **الآية الأولى" ذُقْ إنّك أنت العزيزُ الكريم** ":[35] نجد أن السخرية في الآية الأولى تعني ما هو أبعد من الدعوة إلى مذاق العذاب بالمقابل غير مذكورة بين وضعين هما العبودية، والعزة والكرم يذكرنا بقول مصطفى ناصف إن معنى السياق هو المحذوف، أما في قوله عز وجل:
- _ **الآية الثانية " أم خُلقُوا من غير شيء أم هم الخَالقُون ":**[36]أما التساؤل في الآية الثانية فيعني دفعهم إلى المفاضلة بين " محض العدم " أو " الخلق الذاتي " في حالة إنكارهم الله تعالى وهي مفاضلة محرجة للمنطق البديهي، و مثيرة لإعادة المراجعة، و في قوله:
- _ **الآية الثالثة " كلّ حزب بما لديهم فرحون ":**[37] أما التقرير في الآية الثالثة فهو يجاوز وصف واقع موضوعي موجود وتحديده إلى تعيين منزع نفسي يسبب الشعور بالامتلاء واليقين الوهميين عند تحصيل قدر من المعرفة قد يحتمل في ذاته الصواب وقد يحتمل الخطأ، وهذا المنزع النفسي هو المولّد الخفي لغرور.

إذا كان المناطقة قد اعتبروا دلالات الألفاظ على المعاني أنواعا ثلاثة: "دلالة المطابقة" و"دلالة التضمين" و"دلالة الإلزام"، وقالوا بـ" دلالة المنطوق" ودلالة المفهوم" فإن "دلالة السياق" أظهر تلك الدلالات كلها وأبرزها، و أقواها في خدمة النص، وفي إبراز معانيه، والذي يدل على أنه العرب " قد أحسوا ما أحسسنا، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان: أحدهما حاضر معنا، والآخر غائب عنا، إلا أنه مع أدنى تأمل في حكم الحاضر معنا. فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب، و وجوهها وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها: من استخفافها شيئا أو استثقاله، تقبله أوإنكاره، والأنس به والاستيحاش منه، والرضا به أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود... ألا ترى إلى قوله: فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس – من غير أن يذكر صك الوجه، لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال فقال (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظمت تعاظم الصورة لها، مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ولو شاهدتها، لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل ليس المخبر كالمعاين."[38]

إن الكلام كحديث وخطاب، أي حين يوضع حيز الاستعمال بين الناس، يعتريه "الحذف" و"البتر"، و"الإيجاز"، و"الاختصار" بغية التبليغ بجهد بسيط، وفائدة كبيرة، و يساعد على هذا التبليغ ما يصحب ذلك من أحوال شاهدة، وعلامات كالناطقة ألا ترى معي أن تصنيف الشعر العربي إلى أغراض شعرية معروفة "كالمدح"، "الهجاء"، "الوصف"، "الغزل"، "الرثاء"، "الاعتذار"، "التشبيب"، و"الاستعطاف" وغيرها مبني على الدلالة المرجوة من الكلام، هذه هي الأغراض التي يؤتى من أجلها الكلام في الشعر، فجميعها يتناول دلالات

اجتماعية، ترتبط بالتعامل اليومي للناس من حب وبغض واشتياق و سخط، حزن والتماس، وود و وصال، وهذه الانفعالات تستمر مع البشر وتتكرر مع المجتمعات والأمم..."

فالعرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات، والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركته عيانها، ومرت به تجاربها، وهم أهل وبر، صحونهم البوادي، وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها."[39]

فعلماء اللغة يهتمون بدلالة الملفوظ، والتنوعات الاجتماعية، بين طائفة وأخرى، أما فقهاء الأصول فيهتمون بدلالة النصوص لاستنباط الأحكام، ذلك أن " الألفاظُ ليست تَعَبُدية، والعارفُ يقول: ماذا أراد، و اللفظي يقول: ماذا قال، كما كان الذين لا يفقهون إذا خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: ماذا قال آنفا، وقد أنكر الله سبحانه عليهم وعلى أمثالهم بقوله: "فَمَا لهؤلاء القَوْم لا يَكَادُون يَفْقهُونَ حديثا"، فذم من لم يفقه كلامه، والفقه أخص من الفهم، وهو فهم مراد المتكلم من كلامه، وهذا قدر زائد على مجرد وضع الفظ في اللغة، وبحسب تفاوت مراتب الناس في هذا تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم."[40] وعن كيفة معرفة مراد المتكلم يجيب ابن قيم الجوزية بأن العلم بمراد المتكلم يعرف تارة من عموم لفظه، وتارة أخرى من عموم علته، وأن معرفته عن طريق عموم لفظه أوضح لأرباب الألفاظ، وأن معرفته عن طريق عموم علتها أوضح لأرباب المعاني والفهم والتجبر،[41] ويشرح ابن قيم شرحا دقيقا مراد الشارع من عدة الطلاق، ويكشف عن مقاصدها بالنسبة لكل من الزوج المطلق والزوجة المطلقة وولدهما والزوج الذي ستتزوجه، ويجلي الحكمة منها:

" وأما عدة الطلاق... إنما تجب بعد المسيس بالاتفاق، ولا ببراءة الرحم؛ لأنه يحصل بحيضة كالاستبراء، وإن كان براءة الرحم بعض مقاصدها. ولا يقال: "هي تعبُدٌ" لما تقدم، وإنما يتبينُ حُكمها إذا عُرف ما فيها من الحقوق؛ ففيها حق الله، وهو امتثال أمره وطلب مرضاته، وحق للزوج المطلق وهو اتساع زمن الرجعة له، و حق للزوجة، وهو استحقاقها النفقة والسكنى ما دامت في العدة، وحق للولد، وهو الاحتياط في ثبوت نسبه وأن لا يختلط بغيره، و حق للزوج الثاني أن لا يسقي ماؤه زرع غيره، ورتب الشارع على كل واحد من هذه الحقوق ما يناسبه من الأحكام. فرتب على رعاية حقه هو: لزوم المنزل و أنها لا تَخْرُجُ و لا تُخْرَجُ... و رتب على حق المطلق تمكينه من الرجعة ما دامت في العدة، وعلى حقها استحقاق النفقة و السكنى، وعلى حق الولد ثبوت نسبه و إلحاقه بأبيه دون غيره، وعلى حق الزوج الثاني دخوله على بصيرة و رحم بريء غير مشغول بولد لغيره؛ فكان في جعلها ثلاثة قروء رعاية لهذه الحقوق و تكميلا لها."[42]

2.4 مفهوم القصدية عند الجرجاني:

مفهوم القصد أو الغرض يحتل مكانة محورية في نظرية النظم الجرجانية، بل إن مفهوم القصدية يعد مفتاحا لفهم الفكر البلاغي عند الجرجاني، وتصوره اللغوي، ومقصدية المتكلم عند الجرجاني تعني في جميع الأحوال أن المتكلم يملك زمام التحديد القبلي للمعاني المراد تبليغها للقارئ، وتكمن أهمية الجرجاني في التمييز بين مقصدية الخبر العادي ومقصدية الإبداع الأدبي، فإذا كانت المقصدية الأولى مباشرة وعارية من أي محاولة لإخفاء الغرض فإن المقصدية الأدبية غير مباشرة لأنها تتوسل بشتى ضروب المجاز والاستعارات

والكنايات، وعليه فالقارئ لا يجد المعاني دائما في متناوله بل عليه أن يتعب و يكد في إعمال الحدس والفكر لبلوغ المقاصد العميقة."[43]

ويعد مصطلح القصد أو الغرض في اصطلاحات الجرجاني مرادفا للمعنى، يقول في كتابه عن دلائل الإعجاز: " وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيبُ في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة... وإذا كان كذالك فينبغي أن ينظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصنعة أفي الألفاظ يحصل له ذلك أم من معاني الألفاظ ؟[44] وإن أول فكرة أساسية يدافع عنها الجرجاني في كتابه هذا، ويكرر الذود عنها في الكتاب ذاته؛ مسألة أسبقية المعاني في النظم بجميع صوره، فالنظم لا ينظم ألفاظا ليعبر بها عن معانيه بل يتصور المعاني لتجد نفسها ألفاظا تتمظهر فيها: "... فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أوأن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها، فباطل من الظن ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه... لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني ونعمل الفكر هناك فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ و قفوت بها آثارها، و أنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق."[45]

هناك إذن حضور لسلطة المتكلم وقصديته، لأنه هو الذي يحدد معاني كلامه سلفا، ويترتب عن هذا منطقيا أن المتلقي ليس له أي دور في مسألة إضفاء المعنى على الألفاظ لأنها وليدة ألفاظ مسؤولة عن تمظهرها سابقا، وما على القارئ إلا أن يبحث عنها من خلال الألفاظ ذاتها أو أن يجتهد لبلوغها إذا كانت مختفية وراء ألفاظها. تتعزز سلطة المتكلم أيضا من خلال حديث الجرجاني عن المقصدية في الشعر والنظم عامة، فهو يرى أنك حين تقول: "امرؤ القيس قائل هذا الشعر" فإنك تعني بذلك أنه صَنَع في معانيه ما صنع وتوخى أي قصد. وعليه فإن هدف المتكلم يتحدد بالمعاني المراد تبليغها للقارئ... وليست البلاغة والفصاحة سواء عند الشعراء أم عند غيرهم إلا أن أخبروا "... السامعين عن الأغراض والمقاصد، ورامو أن يُعلِموهم ما في نفوسهم، و يكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم."[46] كل هذا يزيد تأكيد سلطة المتكلم على القارئ وقصديته، فلو كانت الألفاظ توضع ليراد بها بعد ذلك المعاني –وهو ما لا يقول به الجرجاني بالطبع- فإنه عندئذ يمكن القول بأن القارئ ستكون له بعض الحرية في توليد المعاني التي توحي بها الألفاظ خارج نطاق أي مقصدية سابقة، وما دام أن المسألة ليست على هذه الحال، فإن القارئ سينحصر دوره في إعمال الفكر والاجتهاد للوصول إلى المعاني الكامنة سلفا في النصوص." [47]

وجوهر نظرية النظم تعتبر الخَبَر وجميع الكلام إنما ينشئه الإنسان في نفسه ويعرضه على قلبه ويحاكمه في عقله، وما يتحدث عنه الجرجاني ليس سوى مقاصد المتكلم و أغراضه، ولا يخرج كتابه أسرار البلاغة عن هذا التصور رغم طابعه التطبيقي، لأنه كان ينظر إلى كل ما يبدعه الشاعر من الصور والأخيلة أمرا خاضعا

على الدوام لمقاصده الموجودة سلفا في ذهنه، وأن القارئ ينبغي أن يُعمل فهمه لبلوغ تلك المقاصد والأغراض، و يشرح الجرجاني فكرته هذه من خلال أمثلة كثيرة نذكر منها تعليقه على البيت التالي:

وما أنا أسقمت جسمي به و لا أنا أضرمت في القلب نارا

المعنى كما لا يخفى على أن السقم ثابت موجود و ليس القصد بالنفي إليه، و لكن إلى أن يكون هو الجلب له ويكون قد جره إلى نفسه.[48] و يعلق أيضا على ما ورد على لسان الشاعر:

نْعْمَةٌ كالشِّمسِ لما طَلَعَتْ بَثتِ الإشراقَ في كل البلدْ

فيقول: " وذلك أنه قصد ها هنا ما قصده النابغة في تعميم الأقطار والوصول إلى كل مكان."[49]

3.4 الألفاظ الدالة على القصد عند الجرجاني:

والألفاظ الدالة على الأغراض والمقاصد الاجتماعية، والحالات النفسية كثيرة، متنوعة وتأهل بها مصنفات طبقة النحاة والبلاغيين، من بين هذه التعابير الدالة على بلوغ الغايات والشائعة عندهم نذكر: "الأغراض" و"المقصود"، "الاستخفاف" و"الاستثقال" "التقبل" و"الإنكار" "الأنس" و"الرضا" و"التعجب" و"التأكد"، أما بالنسبة لطبقة البلاغيين فإننا نجد أن الجرجاني في كتابه عن أسرار البلاغة، يورد كثيرا من الألفاظ والمصطلحات الدالة على القصد أوالغرض، فهناك:

- ✓ **<u>أولا</u>: الألفاظ الدالة على القصدية والخاصة بالمتكلم**، من بين هذه المصطلحات الجرجانية نجد لفظة: أراد، عمد، المراد، المقصود، الفائدة، الغرض، التوخي، التدقيق،... إلخ
- ✓ **<u>ثانيا</u>: الألفاظ الدالة على الفهم والخاصة بالقارئ**، من بين هذه الألفاظ التي وردت في أسرار البلاغة نجد: يتصور، النظر، اليقظة، الفهم، التصور، التبين، الانقياد، التثبت، التروي، التوقف، التأويل ...إلخ

فهو عندما يريد التعبير عن المقصد الذي قصده الشاعر أو المتكلم من خلال سرد الأمثلة يستعمل مصطلح: أراد- لم يرد- قصد- توخى، يقول الجرجاني "... وإنما أردنا أن **الغرض** من الكلام أن نبين أن... إلا أن **القصد**... كان **القصد** منك... ثم يقع **القصد**... لم يدخل في **القصد**... وأنت لا **تقصد**... "[50] فهو يرى أنك حين تقول: "امرؤ القيس قائل هذا الشعر" فإنك لا تعني بذلك أنه نطق به فقط، ولكن صَنَع في معانيه ما صنع **وتوخى** فيها ما توخى... وليست البلاغة والفصاحة سواء عند الشعراء أم عند غيرهم إلا أن أخبروا "... السامعين عن **الأغراض** و **المقاصد**، و راموا أن يُعلِموهم ما في نفوسهم، و يكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم."[51] أما ابن جني فإن مواضع ورود مصطلح أراد عنده كثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: قوله في الخصائص: "... إلى أنه **أراد**..."[52]، "... إنه **أراد**..."[53]، "... **أراد**..."[54]، "... على أنه **أراد**..."[55]

أما سيبويه فيقدم وصفا دقيقا لمقاصد المتكلمين بالنظر إلى العناصر التداولية، إلى جانب تغير حركات الإعراب بالنظر إلى الأغراض المتوخاة من عملية التخاطب فيقول: "واعلم أنه لا يجوز أن تقول: زيدٌ، وأنت تريد أن تقول: لِيُضْرَبْ زيدُ، أو لِيضِربَ زيدُ إذا كان فاعلا، وأنت تريد ليَضربْ عمرو زيدًا ولا يجوز زيدٌ عمرا، إذا كنتَ لا تُخاطِبُ زيدًا إذا أردتَ لِيَضْرِبْ عمرًا وأنت تخاطبني، فإنّما تريد أنْ أُبْلغَهُ أنا عنك أنّك قد أمرتَه أن يَضْرِبَ عمرًا وزيدٌ و عمرٌ وغائبان، فلا يكون أن تُضْمِرَ فِعْلَ الغَائبِ. وكذلك لا يجوز زيدا وأنت تريد أن أُبْلغَهُ أنا عنك أن يَضْرِبَ زيدًا؛ لأنك إذا أضمرتَ[فعل] الغائب."[56]

الخاتمة:

كانت الظواهر الدلالية والتداولية عند علماء اللغة القدامى موضوع خطابات علمية متنوعة؛ فعلماء العربية كانوا في الأغلب الأعم "نحاة" وكانوا يستندون فيمعالجتهم للكلام إلى النظرية النحوية وأحكامها ومعاني أبنيتها والمقولات الدلالية لأشكالها التصريفية ووحدتها الاشتقاقية والمعجمية. ومن ثمة فدراسة الظواهر الدلالية في الفكر العربي القديم لم تخص صنفا من العلماء بل شكلت موضوعا لخطابات متنوعة مثل خطاب "علماء اللغة"، وخطاب "علماء التفسير" وخطاب "علماء أصول الدين"، إلى جانب خطاب "علماء المنطق"، كل صنف من هذه الخطابات يمتلك خصوصيات من حيث تفسير الظواهر المدروسة، ومن حيث المصطلحات المستعملة، وكذا من حيث الأهداف التي يبتغون بلوغها. والاستقلال بالموضوع الدلالي في اتجاه صياغة قوانين تضبطه، ومفاهيم تميزه، لم يسعف اللغويين والفلاسفة و النقاد على جعل الموضوع الدلالي موضوعا علميا حاملا لأهم مواصفاته، في حين لم يوفق علماء اللسان الروبين والغربيين المحدثين في جعل الموضوع الدلالي موضوعا علميا معمم النتائج قائما على شرط الكم (QUANTIFICATION) وشرط الاختبار (EXPERIMENTAION). وإنما وفقوا فقط في استحداث فرع جديد من أحدث فروع اللسانيات اسموه " علم الدلالة ' (SEMANTICS) **يعنى** بوصف المحتوى الدلالي للجمل وضبط مفاهيمه.

إن الخطاب اللغوي بحكم كونه جزء من الخطاب العلمي، يصلح موضوعا للدراسة والتحليل في كل زمان، خلافا للخطاب الإيديولوجي، ومن ثمة فإنه بالإمكان تدارس النص العربي القديم بصورة جديدة، بهدف الكشف عن طاقات معرفية جديدة؛ وإن إعادة قراءة التراث اللغوي العربي القديم قراءة تجديدية بتوخي الأدوات اللسانية الحديثة، يسعى إلى تتبع جهد المفكرين العرب القدامى في مجال التنظير والتقعيد والتأصيل لقضايا اللغة والدلالة، وننكب على تدارس الإنتاج اللغوي والسميولوجي العربي القديم الذي يقع بين القرن الثاني والعاشر الهجري، متتبعين أهم مصادر التراث اللغوي العربي القديم ومتونه، والوقوف على المبادئ والأصول التي انبنى عليها حتى نستبين قيمته الحالية، من خلال وصف التفكير اللغوي والسميولوجي العربي القديم وإظهار مدى توافقه، والخطاب العلمي الحديث للغة و الدلالة.

قائمة المراجع العربية:

-ابن جني ابو الفتح، الخصائص، تحقيق: مجمد علي النجار، ، المكتبة العلمية، ج2، دار الكتب المصرية، مصر، 1957

-ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق طه الخاحري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1856
-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مج 2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991
-ابن منظور، معجم لسان العرب، تحقيق: عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، مج: 10، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002
-ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط1،دار الفكر، 1979
-آيت أوشان علي، السياق والنص الشعري.من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2000
-بودوخة مسعودة، السياق و أثره في الدلالة مع دراسة تطبيقية على تفسير الزمخشري، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة لجزائر، 2000
-التهانوي محمد علي، كشاف مصطلحات الفنون، مج2، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2006،
-جحفة عبد الحميد، مدخل إلى علم الدلالة الحديثة، ط1، سلسلة المعرفة اللسانية، دار توبقال للنشر، المغرب، 2000
-الجرجاني عبد القاهر أسرار البلاغة، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1978
-الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، صحح أصله محمد عبده و محمد التركزي، علق حواشيه محمد رشيد رضا، دار المعرفة، لبنان، 1981
-الجطلاوي الهادي، قضايا اللغة في كتب التفسير، المنهج، التأويل، والإعجاز، ط1، كلية الآداب، سوسة، تونس، 1998
-جلال رشيدة، دور المقام في تعلم قواعد اللغة العربية و آدابها، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية، جامعة الجزائر، 1998-1997
-الحاج صالح عبد الرحمن، الجملة في كتاب سيبويه مجلة المبرز، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ع:2، جويلية، 1993
-الحاج صالح عبد الرحمن، النظرية الخليلية الحديثة،مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع:10، 1996
-دايك فان، النص والسياق. استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ت. عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب،2000
-الرابطة المحمدية للعلماء، أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام، المملكة المغربية، ط1، 2007
-سيبويه، الكتاب،تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ج1، ط.1،دار الجيل، بيروت، لبنان، ، (بدون تاريخ)
-السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، ج02، بيروت، 1973
-العلوي سالم، ملامح علم الدلالة عند العرب دراسة لسانية، رسالة دكتوراه دولة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر
-لحمداني حميد، القراءة و توليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2003
-المتوكل أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985
-المتوكل أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية.بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2001
-ميلاد خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة. دراسة نحوية تداولية، ط1، كلية الآداب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001

قائمة المراجع الأجنبية:

Armengaud. F, La pragmatique, col. Que sais-je ? Presses universitaires de France, Paris, 1985-
Dalache Djilali, Introduction a la pragmatique linguistique, office des publications universitaires, Alger, 1993-
Fabre. P & Baylon .C, La sémantique, avec des travaux pratiques d'application et leur corriges, éd Fernand Nathan, - paris, France, 1978
Fovlov. I, Dictionnaire philosophique, U.R.S.S, 1984-
alphabétique, éd. Denoël, paris, 1969 François Fréderic, La linguistique guide-
Galisson Robert & Coste. D, Dictionnaire de didactique des langues, hachette, France, 1976-
Halliday M.A.K & Rughaiya Hassen, cohesion in English, 1st pub, Longman, Great Britain, 1976-
Kerbrat- Orecchioni Catrine, l'énonciation de la subjectivité dans le langage, Armond Colin, paris, France, 1980-
Lyons John, éléments de sémantique, tra. Durand.J, col. Langue et langage, lib. Larousse, paris, France, 1978-

Lyons John, linguistic semantics. an introduction, 2nd ed, Cambridge university press, Great Britain 2002-
France, 1980 Lyons John, sémantique linguistique, tra. Durand. J & Boulonnais. D, col. Langue et langrage,-
Lyons John, structural semantics, an analysis of part of the vocabulary of platon, 2nd ed, philological society pub, -
oxford, Great Britain 1967
Moutaouakil Ahmed, réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe, 1ed, pub. la faculté -
des lettres et des sciences humaines, rabat, Maroc, 1982
Parkinson G.H.R, the theory of meaning, 4th ed, oxford university, Great Britain, 1978-
Roulet Eddy, linguistique et comportement humain; l'analyse tagmémique de Pike, delachaux et miestle, Switzerland, -
1974
Todorov. T & Ducrot. O, dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, ed. Seuil, Paris, France, 1972-
Yves Thierry, Sens Et Langage, Ed. Ousia, Bruxelles, 1983-

8. الهوامش:

[1] السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، ج02، بيروت، 1973، ص:214
[2] العكك خالد عبد الرحمن، أصول التفسير و قواعده، دار النفائس، بيروت، 1986، ص: 102
[3] Moutaouakil Ahmed, réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe, 1ed, pub. la faculté des lettres et des sciences humaines, rabat, Maroc, 1982 p: 316
[4] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، صحح أصله محمد عبده و محمد محمود التركزي، علق حواشيه محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1981، ص: 111/110
[5] المصدر نفسه، ص: 132
[6] المصدر نفسه، ص: 111/110
[7] سيبويه، الكتاب،تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ج1، ط.1،دار الجيل، بيروت، لبنان، ص: 258
[8] المصدر نفسه، ص: 280
[9] المصدر نفسه، ص: 25
[10] المصدر نفسه، ص:74
[11] ابن جني ابو الفتح، الخصائص، تحقيق: مجمد علي النجار، ، المكتبة العلمية، ج2، دار الكتب المصرية، مصر، 1957،ص: 25
[12] عبادي أحمد، أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام،مجموعة مقال صادر عن أعمال الندوة العلمية الدولية في أهمية اعتبار السياق، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، المملكة المغربية، 2007، ص:7
[13] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص:117
[14] ابن منظور، معجم لسان العرب، تحقيق: عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، مج: 10، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص: 199/ 201
[15] المصدر نفسه، ص: 199
[16] ابن منظور، معجم لسان العرب، ص: 199/ 201
[17] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 203
[18] المصدر نفسه، ص: 255
[19] ابن جني، الخصائص، ج1، ص: 285/284
[20] المصدر نفسه، ج2، ص: 370
[21] سيبويه، الكتاب، ج1،ص: 275
[22] المصدر نفسه، ص: 338
[23] المصدر السابق، ص: 339
[24] المصدر نفسه، ص: 258
[25] المصدر نفسه، ص: 338
[26] ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 371
[27] MOUTAOUAKIL AHMED, REFLEXIONS SUR LA THEORIE DE LA SIGNIFICATION, p: 162 /116
[28] المرجع نفسه، ص: 44/43 أما عن هذا البعد التداولي في تفسير الزمخشري و خاصة أثر السياق ينظر: بودوخة مسعودة، السياق و أثره في الدلالة مع دراسة تطبيقية على تفسير الزمخشري، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2000
[29] MOUTAOUAKIL AHMED, REFLEXIONS SUR LA THEORIE DE LA SIGNIFICATION, P: 318
* القُسوط: الجَوْر. والدِّين الطاعة
[30] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مج 2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991، ص: 260/259
[31] التهانوي محمد علي، كشاف مصطلحات الفنون، مج2، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2006، ص:119
[32] المصدر نفسه، ص:122
[33] المصدر السابق، ص: 123
[34] ابن جني، الخصائص، ج3، ص: 101/98

[34] العلوي سالم، ملامح علم الدلالة عند العرب دراسة لسانية، رسالة دكتوراه دولة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ص:40
[35] الآية (46) من سورة الدخان
[36] الآية (33) من سورة طور
[37] الآية (31) من سورة الروم
[38] العلوي سالم، ملامح علم الدلالة عند العرب دراسة لسانية، ص:248/247
[39] ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق طه الخاحري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1856، ص: 10
[40] ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، مج 1، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، ط.1، دار الجيل بيروت، لبنان، 1998، ص:298
[41] المصدر نفسه، ص:299
[42] المصدر السابق، مج 2، ص:115
[43] لحمداني حميد، القراءة و توليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص: 105
[44] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 278
[45] المصدر السابق، ص: 44/43
[46] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 35
[47] لحمداني حميد، القراءة و توليد الدلالة، ص: 109
[48] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص:97
[49] الجرجاني عبد القاهر أسرار البلاغة، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1978، ص: 221
[50] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 111
[51] المصدر نفسه، ص: 35
[52] ابن جني، الخصائص، ج2، ص:410
[53] المصدر نفسه، ص:412
[54] المصدر نفسه، ص:425
[55] المصدر نفسه، ص:431
[56] سيبويه، الكتاب، ج1، ص:254